امتدادها، فلا يفصل بينها التقسيم التقليدي إلى فصول، فكأنها فصل واحد لاهث، تتقاطع فيه الأصوات وتندغم، ثم تعود لتتقاطع لتندغم من جديد.

ولا يحد من اندفاعة الدفقة وتشابك الأصوات واندغامها سوى فاصل شكلي تقني يعتمد على تغيير سمك الحرف (بين اسود وأبيض) ليعطي ايذاناً بالانتقال من صوت إلى آخر.

وفي التوضيح الذي يستبق الرواية، نلمس اشكالية الكاتب في هذا النوع من الكتابة، والتي وجد لها حلاً يستفيد من التجارب السابقة دون أن يكون مقتنعاً به ذاتياً، ولكنه لم يجد بديلاً له. يقول غسان كنفاني في توضيحه: «إن تغيير حجم الحرف ذاك يعرقل جزءاً هاماً من عملية الانتقال التي كان لا بد أن تحدث دون وعي ودون إشارة، وستبدو كأنها ترتيب مقصود لعالم غير مرتب في الحقيقة، ولكن تجارب سابقة من هذا النوع أثبتت أن مثل هذا العمل هو شيء لا مفر منه» (ص ١٥٩).

لا تتم التقاطعات هنا بين لحظة الوعي الآنية والماضي في ذات الشخصية فحسب، بل يقطع اندفاعة صوت الشخصية تدخل صوت آخر لشخصية اخرى عند نقطة محددة.

تداعيات الأصوات تلك، هي التي تشكل مبنى الرواية، وتقاطعها وتداخلها يعطي دفقتها الواحدة، في اختلاطها المكاني والزماني.

هكذا يتقاطع صوت «الصحراء» مع صوت «مريم»:

«**قال انه يطلب حبي لأنه ليس باستطاعته ان يكرهني**. ليس باستطاعتك ان تكرهني يا زكريا، ليس باستطاعتك ان تفعل ذلك» (ص ١٧٢).

فالصوت الأول، بالحرف الأسود، هو صوت «الصحراء» تتحدث عن «حامد» الذي تحتويه بفضاء مكانها. والصوت الثاني، بالأبيض، هو صوت «مريم» تتحدث إلى «زكريا» دون ان يقف معها في ذات المكان، والصوتان المتقاطعان (مريم والصحراء) يفصل بينهما المكان، لكن تداعيات اللغة «**ليس باستطاعته ان يكرهني**. ليس باستطاعتك ان تكرهني» تمهد لانعطافه السياق، وتصبح مدخلاً للصوت الآخر ونقطة تتقاطع عندها الأصوات.

مثل ذلك، نجده في تقاطع صوت «مريم» مع صوت حامد البعيد وكلمة «تبقّى» هي التي تمنح مثل هذا التداعي، وتكون نقطة التقاطع بين الصوتين.

«...**وتركني وانزلق فوق السلم ثم صفق الباب.. ما تبقى. ما تبقى لكم جميعاً**. فما الذي تبقى لنا وبيننا أيها الشبح الصامت الغاضب» (ص ٢١٨).

فالصوت الأول، بالأسود، هو صوت «مريم» تحكي عن «حامد» البعيد. والصوت الثاني، بالابيض، هو صوت «حامد» في «منولوغ» داخلي يخاطب الجندي الاسرائيلي الجالس أمامه.